لأن ماءها فيها، وليس عليكم أن تضعوها في صحن لأنها تنضج وتُؤتي أُكُلَها في وعائها الخاصّ. ابدأوا من الأطراف ثم اقتربوا من القلب وكل لقمة تقرِّبكم من «حدائق النور».

وكان يقدِّر كذلك الخبز الساخن، والخيار والتمر، ولا سيّما أشدّ التمور صفاء، تلك التي يُرى الضوء من خلالها. وكان يُزيح في المقابل بحركة تكاد تكون مهذَّبة أطباق اللحم. وأما الخمر والمشروبات المخمَّرة فلم يكن يشرب شيئاً منها؛ كان يتظاهر فقط، في ابتداء الوجبة، بغمس شفتيه فيها ليشعر الضيوف بحريّة تناولها. بيد أنه لم يكن يتسامح بالسُّكْر؛ وكان يكفي أن تلوح من أحد الحضور أمارة على ثمله لكي ينهض «ماني» ويبتعد غير عابىء بمضيفيه.

وفي أغلب الأحيان يكون «ماني» قد فتن في لحظة استئنافه طريقه بعضَ الأشخاص الذين لم يكونوا يرغبون في مفارقته. غير أنه كان يقول لهم: «لا تتبعوني بعدُ، فلم يَئنِ الأوان لذلك. انتظروني وكونوا أملي في هذه المدينة، وانشروا حولكم ما قد سمعتموه من فمي، وقولوا لكل أحدٍ إنني سوف أمرّ ثانيةً».

كذلك كان بعض أعيان الموضع يأتون لتقديم الهدايا إليه، أثواب قشيبة وقطع ذهبية. وكانت هذه تلتمع في عَيْنَيْ «مالكوس»، لكنّ «ماني» كان يشير إليه برَفْعَة من حاجبيه بألّا يمسّها. ثم كان يتوجّه إلى المحسنين قائلاً: «هديّتكم مقبولة مع العرفان بالجميل، احتفظوا بها في بيتكم بادية للعِيان، فسوف تذكّركم بمروري وتعلن لكم عن عودتي».

وهكذا بلغوا (شاراكس) آكلين مُستجمّين كلّ يوم، غير أنهم ليسوا أكثر غنىً ممّا كانوا عند ذهابهم. ولا أكثر فقراً أيضاً لأن «مالكوس» لم يكن قد مدّ يده مرة واحدة إلى بِدْرته. ولقد كان سيوافق طوعاً على أن حيطته كانت سُدىً لو لم يكن مشروع تلك الرحلة في البحر للوصول إلى (الهند). ففي الدروب يمكن أن يحصل المرء على المأوى والزاد في جميع المراحل، وقد كان «ماني» على حقّ في